أضواء جديدة على حياة الكندي

د. محمد أحمد عواد

كلية الآداب والفنون - جامعة عمان الأهلية

New Lights On Al-Kindi's Life

ABSTRACT

This study aims at shedding light on the life of the philosopher Yacoub bn Ishaq Al-Kindi without concerning itself with his thought and philosophy. It is well known that al-kindi's life has been the focus of many modern Arab and orientalist scholers such as De Bore, Brokelman, and Mustafa Abd Al-Razeq and others.

Those scholers offered an account of his life based on biographics. The problem that faced everyone was the scarcity of information on al-kindi's life, thus it has not been possible to present an accurate account of it. This prompted many scholers to degrade the philosophical importance of al-kindi due to lack of information about many details of his life compared with other philosophers.

We would not have attempted to examine al-kindi's life and we didn't locate new texts that fill some of the gaps in al-kindi's life. This has meant a fresh account of life that includes the date and place of his birth and death, his work in Baghdad and his intellectual and political circle.

تاريخ تسلم البحث: 2001/6/21 تاريخ قبول البحث: 2002/3/3

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الأضواء على حياة يعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف، دون العناية بفكره وفلسفته.

والمعروف أنّ حياة الكندي قد حظيت باهتمام الدارسين المعاصرين مستشرقين وعرب، مثل دي بور، وبروكلمان، ومصطفى عبدالرازق، وعبدالهادي أبوريدة وغيرهم.

وقد أنجز هؤلاء صورة لحياة فيلسوف العرب بالاستناذ إلى ما قدمته كتب التراجم، وكانت المشكلة التي تواجه الجميع هي نقص المعلومات المتعلقة بحياة الكندي في كتب التراجم، فلم يكن ممكنا رسم صورة دقيقة لحياته. مما دفع بعض الدارسين إلى الانتقاص من أهمية الكندي الفلسفية، لأنّ المصادر قصّرت عن تناول تفاصيل حياته مثل الفلاسفة الآخرين.

وما كنا نقوم بإعادة البحث في حياة الكندي لولا عثورنا على بعض النصوص الجديدة التي تضيء بعض الساحات المظلمة في حياة الكندي، ومن ثم في ضوئها رسم صورة جديدة لحياة الكندي تتضمن مكان ولادته وتاريخها، وتاريخ وفاته، وأعماله في بغداد، وعلاقاته الثقافية والسياسية بالوسط البغدادي.

تمهيد:

كتب كثير من الدراسات حول الكندي[1]، وربما لا يوجد كتاب تناول الفلسفة الإسلامية بعامة إلا وتعرض للكندي، ولهذا لا يبدو ثمة مسوغ لنا لإعادة الكتابة حول حياة الكندي فالموضوع قد استنفد وليس هناك ما يمكن اضافته، لولا عثورنا على نصوص جديدة تضيء بعض الفضاءات من حياة الكندي لم تستخدم قبلنا. وما كنا نولي هذا الأمر هذه الأهمية لولا أنّ بعضهم قد بنى على غموض حياة الكندي استنتاجات مثيرة للدهشة فمن هذا ما يذهب إليه أنطوان سيف من «أنّ مكانة الفيلسوف في حياته كانت عادية، وأنّ اسمه كان أقل بريقا وشهرةً من أسماء كثيرة معاصرة له كانت تشتغل مثله في الفلسفة

كيوحنا بن ماسويه، وحنين بن اسحاق الفيلسوف، وغيرهما، وأنّ شخصية الكندي المميزة الإنسانية والعلمية هي فرضية تم تركيبها والمبالغة في تركيبها حتى في عصور لاحقة على يد مؤرخي الفكر العربي لضرورات تتعلق بتاريخ نشأة الفلسفة في الإسلام»[2].

1 - الاسم والعائلة:

هو «أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندة، وهو ثور بن مرتع بن عدي بن الحارث بن أدد بن زيد بن الهميع بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب»[3].

ربّما شكك بعض الباحثين في صحة هذه السلسلة من النسب، ولكن يمكن أن نطمئن إلى سلامة الجزء الأول منها، وذلك لاهتمام العرب الكبير بهذه القضايا حتى اليوم، ويمكننا أن نثق في أنّ فيلسوفنا من قبيلة كندة العربية، وذهب ابن جلجل إلى أنّ جدّه الصباح «ولي الولايات لبني هاشم»[4]، وقد نبه صاعد الأندلسي إلى أنّ هذا ليس صحيحا، فالجدّ لم يتول الولايات وانّما والده اسحق بن الصباح، فقد كان «أميرا على الكوفة للمهدي والرشيد»[5].

أمّا قول صاحب المنتخب أنّ جدّه كان «أميرا على الكوفة»[6] ففي تصورنا أنّ هذه إضافة من ابن سهلان للمنتخب ومصدره فيها ابن جلجل أو أي مصدر آخر»[7].

وقد تبنى هذا الأمر القفطي[8]، وابن نباته[9]، ودافع عنه من المعاصرين الشيخ مصطفى عبدالرازق[10]، إذ (أكد هذا الأخير) أنّ اسحق بن الصباح تولّى الكوفة سنة 159 في عهد الخليفة المهدي (158هـ - 169هـ)، ولم يتمكن من تحديد الفترة التي تولى فيها الكوفة في عهد الرشيد (170هـ - 193هـ)، ويذهب عبدالرزاق إلى أنّ والده قد توفي في نهاية القرن الثاني الهجري، استنادا إلى أنّ كتب رجال الحديث تعدّه من الطبقة السابعة

«أي أنه عاش في المائة الثانية من الهجرة»[11].

إذا كان الباحثون قد تمكنوا من إضاءة حياة أبيه إسحاق فإنّ الغموضَ بقي يحيط بشخصية جدّه الصبّاح، وقد عثرنا على نصّين مهمين يلقيان أضواء جديدة على حياة الجدّ.

النص الأول: يقول البيروني: ابتدأ نصر بن يعقوب بتعديد أسامي المشهورين من طبقة الجوهريين في الأيام المروانية والعباسية مثل عون العبادي، وأيوب الأسود البصري، وبشر ابن شاذان، وصبّاح ويعقوب الكندي، وأبي عبدالرحمن بن الجصّاص وابن خبّاب.. إلخ[12]. تبين شهادة نصر بن يعقوب السابقة أنّ صبّاح ويعقوب الكندي من الجوهريين في أيام الدولة العباسية، وصبّاح هو جدّ الفيلسوف يعقوب، فقد كان الجدُّ جوهريا، وكذلك يعقوب، ولا يشير مطلقا إلى أنّ والده اسحق كان من الجوهريين فهو كما بين كان واليا على الكوفة لِلرشيد، ومن ثم كان بعيدا عن مهنة أبيه وابنه.

النص الثاني: يتدعم الحكم السابق بنص ثان ينقله البيروني فيما يبدو من كتاب الكندي «في الجواهر والأشباه» إذ يقول: «ثم إنّ الرشيد شديد الولوع بالجواهر حريصا على اقتنائها، وأنّه بعث بالصبّاح الجوهري جدّ الكندي إلى صاحب سرنديب لابتياع جواهر في ناحيته، فأكرمه الملك ورحب به، وأراه خزانة جواهره ودهش وهو يقلبها، ويتعجب من جلالتها وعظم أجرامها إلى أن بلغ ياقوتا أحمر ولم يكن رأى في خزائن الملوك مثله، فاشتدّ إعجابه وقال له الملك: هل له عهد بمثله؟ قال: لا والله قال فهل تقدر على تقويمه إذ عجز الكل عنه، قال: أفعل. وشقّ ذلك على الملك، وقال له كنت أسترجح عقلك فكذبت فراستي فيك لادعائك ما أعجزَ الكافّة. قال الصبّاح: ما أخطأت فراستك وإن أردت صدقها فاجمع عندك من ذوي البصر بأمر الجواهر. فجمعهم، واستحضر الصبّاح ملاءة، وبسطها ودفع أطرافها إلى أربعة نفر يمسكونها في الهواء، ثم رمى بالياقوتة فوق الملاءة بأقصى قوته، ولمّا سقطت على الملاءة، قال للملك: قيمتها أن تنصب العين على الأرض إلى

أن تعلو إلى حيث بلغت بالرمي، فاستحسن القوم قوله وجلّ في أعينهم وعين الملك، وأمر فحشي فوه بالجوهر الرائق، وخلعَ عليه وصرفه بقضاء ما ورد له»[13].

يؤكد النصّ أنّ الصّباح كان من الجوهريين البارزين، وقد كان حياً في عهد الرشيد (170هـ - 193هـ) وقد نفّذ له بعض المهمات.

2 - مكان الولادة وتاريخها:

يميل معظم[14] الباحثين في الوقت الحاضر إلى أنّ الكندي ولد في الكوفة في ضوء القرائن التي تؤكد أنّ والده كان من وجهائها، وكان واليا في بعض الفترات. وهذا لا ينفي إمكانية انتقاله من البصرة إلى الكوفة إذ يقول ابن جلجل: أنّه كان «شريف الأصل بصريا[15]» ولكنّ هذا الفرض يبقى بحاجة إلى قرائن تؤيده.

أمّا تاريخ ولادته، فقد ذهب عبدالرازق ودي بور إلى أنّ الكندي ولد حوالي سنة 185هـ[16]. ويدعم عبدالرازق هذه القضية بقوله: ولمّا كان يعقوب بن اسحاق الكندي قد توفي في أواسط القرن الثالث الهجري كما سيأتي تحقيقه، ولم يكن أحد ممن ترجموا له أشار إلى أنه كان من المعمرين، فمن المرجّح أنّه ولد في عواقب عمر أبيه، وأنّ أباه تركه طفلا، فنشأ في الكوفة»[17].

والباحث لا يجد أمامه سوى هذه الصورة المحتملة في غياب الأخباروالنصوص،وكان من الممكن أن نتبناها لولا عثورنا على نصّ بالغ الأهمية يغير قليلا من الصورة السابقة.

يقول البيروني: قال الكندي: كان الرشيد سلّم إلى يحيى بن خالد جراباً من جواهر ليحفظه فوضعه في داره، ونهض وقد أنسيه وتناوله بعضُ الفراشين، فلمّا تذكرّه لم يجده فاغتم لفقده، وكنت عنده، فاستحضر أبا يعقوب الزاجر المكفوف... ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى وقع بالبرامكة ما وقع وحدثت بهم النكبة»[18].

لم يكن الكندي طفلا عندما توفي الرشيد، فها هو يخبرنا بنفسه أنّه كان موجودا

عندما حصلت مشكلة الجراب، وكان ذلك قبل أيّام قليلة من وقعة البرامكة التي وقعت سنة 187[19]هـ. وإذا افترضنا أنّ عمره آنذاك كان خمس عشرة سنة، فهذا يعني أنّ ولادته كانت في سنة 170هـ.

3 – وفاة الكندي:

لم تشر كتب التراجم إلى السنة التي توفي فيها الكندي، ومن ثم حاول بعض الباحثين المحدثين تحديد سنة الوفاة بالاعتماد على بعض القرائن.

1 - ذهب ماسينيون[20] إلى أنّ الكندي توفي سنة 246هـ / 860م.

ولكنّ هذا التحديد من قبل ماسينيون خطأ، فهناك خبران يثبتان عدم صحته، أولهما خبر نقله الطبري يثبت فيه أنّ الكندي كان حيا سنة 248هـ[21] وثانيهما أنّ الكندي كان حيا سنة 249هـ، فقد نسخ كتابا بخطه في هذه السنة، وهذا الكتاب رآه ابن النديم[22].

2 - ذكر نللينو أنّ الكندي توفي سنة 260هـ / 873هـ[23]. ولم يقدم نللينو قرينة تدعم هذا الحكم، ومن المعروف أنه من المدققين الأمر الذي يوحي بأنه قد ناقش هذه المسألة في مكان آخر، وهذا ما نرجّحه، ونعتقد أنّ القرينة التي اعتمدعليها «رسالة في الأخبار عن كمية ملك العرب»[24]، والمخطوط موجود في المتحف البريطاني تحت رقم 426، 18، ومعروف أنه نشر في ليبسك سنة 1875م، ولا يعرف فيما إذا كان النصّ العربي منشورا مع هذه الترجمة[25] واستنادا إلى هذا المخطوط في سنة 257هـ / 870م «كان دور صغير من الأدوار الفلكية على وشك الانتهاء، وكان القرامطة يستغلون هذا الأمر لإسقاط الدولة العباسية وكان من ولاء الكندي للدولة في هذا الظرف أنه أكّد لها بقاء يدوم نحوا من أربعمائة وخمسين عاما أخرى، مع أنها كانت مهددة بقران في الكواكب»[26].

وقف بروكلمان على النصّ السابق، وأكد استنادا إليه أنّ الكندي كان حيا سنة 256هـ/870م[27]، وأخذ دي بور أيضا بهذه المسألة[28]، ومن ثم نرجح أن يكون نللينو قد

وقف عليه.

والمهم بالنسبة لنا أن نللينو وبروكلمان ودي بور يعتقدون أنّ الكندي كان حياً سنة 256هـ / 870م، وحجتهم في ذلك هو النصّ السابق.

3 - وقف د. مصطفى عبدالرازق على رسالة كمّية ملك العرب، وهي تؤكد «أنّ الكندي شهد عهد الخليفة المستعين آخر رمضان سنة 252هـ[29]، ولم يتعرّض إلى قضية الدور الفلكي، وتنبؤ الكندي، وإثبات أنّ ذلك كان سنة 256هـ فقد صمت عن هذا الأمر. وهناك احتمالان يمكن بالاستناد إليهما تفسير هذا الصمت أولهما أنّ الشيخ مصطفى لم يكن قادرا على استيعاب المسألة الفلكية، ومن ثم لم يكن قادرا على الترجيح فيها، وهذا ما أرجحه. وثانيهما أنه قد فهم المسألة ولم يقتنع بذلك، فقد وجد ما يرجح أنّ الكندي قد توفي قبل سنة 255هـ، وتحديدا في سنة 252هـ، والحجة التي يستند إليها هي أنّ الجاحظ قد ذكر الكندي في كتابي الحيوان والبخلاء بصيغة الماضي مما يثبت أنّه كان ميتا عند كتابة البخلاء، ومعروف أنّ الجاحظ توفي سنة 255هـ[30] وأنّ كتاب البخلاء مؤلف على الأرجح سنة 254هـ فالكندي لم يكن حيا في سنة 254هـ ولا في سنة 253هـ إن صح أنّ الجاحظ كتب الحيوان في هذه السنة»[31].

اعتقد الشيخ مصطفى عبدالرازق أنّ الكندي توفي في أواخر سنة 252هـ وحجته كما رأينا تعتمد على ما أورده الجاحظ في كتابي البخلاء والحيوان، وسنقوم بمناقشة هذه القضية لأهميتها.

إشارات الجاحظ في الحيوان:

ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان مرتين [32]:

أولاهما: «وكان عند يعقوب بن صبّاح الأشعثي هرّان ضَخْمان، أحدهما... [33]

وثانيتهما: «فخبرني صاحبنا هذا أنّ في منزل أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي

هرّين، ذكرين...[34]».

1 - ذكر الجاحظ الخبر الأول هكذا: «وكان عند يعقوب...» وهذه الصيغة إذا أخذت مجردة وحدها فإنها يمكن أن تعني فيما تعنيه أنّ الكندي كان لديه هرّان، في الماضي البعيد، حيث مات الكندي منذ زمن، والجاحظ الآن يذكر هذه المسألة التي وقعت في الماضي، وهو تأويل يمكن قبوله في حدود لولا النصّ الثاني الذي يضيء الواقعة من جديد.

2 - استنادا إلى النصّ الثاني، هناك رواية ينقلها شخص ما إلى الجاحظ مشافهة مفادها إنّ هناك هرّان في منزل الكندي. واستنادا إلى هذه الرواية يمكن القول أنّ الكندي كان حيا وقت هذا الحديث، ولا يشير الجاحظ مطلقا إلى أنّه توفي بشكل ما.

3 - يمكن اعتبار الرواية الثانية هي الأصل، وأنّ الرواية الأولى تعميم منها ومن ثم فعندما يعود الجاحظ إلى هذا الخبر فيما بعد يقول: «وكان عند يعقوب...» في صيغة الماضي، ومن ثم إذا أخذنا النصّين معا، فهما لا يؤكدان على الإطلاق أنّ الكندي قد توفي عند كتابة الحيوان.

إشارات الجاحظ في البخلاء:

ذكر الجاحظ الكندي في كتاب البخلاء [35] الذي ألفه سنة 254هـ. والغريب أنّ الجاحظ عندما ذكر الكندي في الحيوان ذكر اسمه كاملا أمّا في البخلاء فلا يذكر إلا «الكندي»، وقد طابق الشيخ عبدالرازق بين هذا الكندي والفيلسوف الكندي دون تريث. نشر فان فلوتن كتاب البخلاء محققا سنة 1900 بليدن، وطبعت في مصر نسخة عن هذه النشرة سنة 1905، وقد أسقط الناشر منها الملاحظات الكثيرة التي قدمها المحقق، ونظن أنّ هذه النسخة هي التي كانت موجوُدة بين يدي الشيخ مصطفى عبدالرازق.

يذكر فلوتن أنّ الكندي الوارد ذكره في البخلاء يمكن أن يكون هو الكندي الفيلسوف،

ولدعم هذا الحكم لجأ إلى بعض القرائن التي لا تصمد أمام المناقشة وقد ذكر طه الحاجري أنّ هذا الفرض تحكمي «ليس له ما يرجحه إلا هذه الصدفة المحضة»[36]. ومن ثم يذهب الحاجري إلى أنّ كندي البخلاء شخص مستقل عن الكندي الفيلسوف[37].

وقد قمنا بقراءة النصّ من جديد بغية الكشف عن سمات شخصية كندي البخلاء فلم نستطع أن نخرج بدليل واحد يثبت أنّه الكندي الفيلسوف، لذلك نحن نتفق مع ما ذهب إليه الحاجري، فهو شخص من كندة لا علاقة له بالفلسفة، وهذه الصياغة التي نجدها هي من لغة الجاحظ وليس الكندي الفيلسوف.

عرف الجاحظ الكندي الفيلسوف وردّ عليه في رسالة مشهورة لم تصلنا هي: «رسالة في فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندي»[38]. وإذا كان الجاحظ ابتداء لا يميل إلى الكندي الفيلسوف، فربما كانت بينهما مناظرات وخصومات، دفعت الجاحظ إلى التشهير به، وذلك في كتاب البخلاء، هذا إذا افترضنا أنّه كان يقصده هو.

إذا نجحت مرافعتنا السابقة، فهذا يعني أنّ المقدمات التي بنى عليها مصطفى عبدالرازق حجّته قد تهاوت ومن ثم نعود من جديد إلى أنّ الكندي كان حيا سنة 256هـ بحسب رسالة «كمية ملك العرب».وهناك قرينة تدعم هذا الأمر، تتلمذ أبو زيد أحمد بن سهل البلخي على الكندي. فقد ولد البلخي في شامستيان سنة 234هـ / 235هـ[39].

وقرر البلخي في شبابه أن يغادر خراسان للدراسة في العراق «وتوجه إليها راجلا مع الحجاج وأقام بها ثماني سنين»[40].

وتذكر الرواية «أنه تتلمذ لأبي يوسف بن اسحق الكندي وحصّل من عنده علوما جمّة[41]. إذا افترضنا أنّ البلخي غادر خراسان وعمره خمس عشرة سنة، فهذا يعني أنه غادر خراسان في حدود سنة 250هـ وسنفترض أنّه وصلَ بغداد سنة 250هـ، حيث درس على الكندي وحصّل من عنده علوما جمّة، ثم نجد البلخي يغادر بغداد سنة 258هـ راجعا إلى خراسان، والفرضية التي نتقدم بها هنا هي أنّ مغادرة البلخي بغداد جاءت بعد وفاة

الكندي، فربما توفي الكندي سنة 257هـ أو في 258هـ.

4 - عهد الطفولة:

استقرت أسرة الكندي في الكوفة - فيما يبدو - منذ وفاة جدة الأشعث بن قيس سنة 40هـ[42]، ومن ثم كان جدّه الصبّاح مقيما فيها، ويعمل في صناعة الجواهر وبيعها إلى أن أصبح من خبراء هذه الصناعة، والمفروض أن يكون له مكان في الكوفة لممارسة هذا الأمر.

أمّا ابنه اسحق فقد كانت الظروف مناسبة له، فقد أصبح واليا على الكوفة سنة 159هـ، ثم ولي عليها أيضا مرة ثانية في عهد الرشيد (160هـ - 193هـ).

ومن ثم ليس غريبا أن يعهد الخليفة هارون الرشيد إلى الصبّاح بالمهمة التي عرضها البيروني في سرنديب؛ فابنه من رجال الدولة العباسية، وهو ثقة، والصبّاح من الخبراء في مجال الجواهر، ومن ثم نذهب إلى أنّ الرشيد كان يرسل إليه للقيام بتلك المهام، لذلك كانت هناك إمكانية لإنتقال الجدّ من الكوفة إلى بغداد في فترة الرشيد (170هـ - 193هـ).

وقد أشار البيروني إلى أنّ يعقوب كان جوهريا مثل جدّه، وفي تصورنا أنّه قد تلقى التدريب على يديه، وأخذ عنه، وعمل في دكانه، وربما رافقه إلى بغداد في رحلاته، وإلا كيف نفسر وجود الكندي في قصر الرشيد سنة 187هـ.

أمّا الأمر الثاني الذي يجدر بنا الإشارة إليه فهو دراسة الكندي في طفولته فقد وفرت له عائلته الغنية - فيما يبدو - فرصة القراءة الجيدة على أيدي شيوخ الكوفة بين سنة (170هـ - 185 هـ)، فقد تعلم القراءة والكتابة والأدب في مساجد الكوفة أو في أحد كتاتيبها.

أمران مؤكدان في فترة الطلب أولهما أنّ الكندي تلقّى تعليما جيدا في سنواته الأولى بحكم الظروف الاقتصادية لعائلته، وثانيهما أنه تدرّب على يدي جدّه في صناعة

الجواهر[43].

5- الكندي في بغداد:

عرضنا في الفقرات السابقة النصّ الذي يثبت وجود الكندي في بيت يحيى بن خالد البرمكي سنة 187هـ، وسواء أكانت تلك الزيارة مؤقتة أم للإقامة، فقد كانت فرصة مناسبة تعرّف من خلالها على مجتمع بغداد، ونظن أنّه استقر فيها بعد ذلك وبالطبع كان يتطلب هذا الاستقرار وضعا اقتصاديا معينا بمعنى أنّ عليه أنْ يعمل، ولا تذكر المصادر شيئا عن أعمال الكندي في الدولة العباسية وبخاصّة في عهدي المأمون والمعتصم[44].

والفرض الذي نميل إليه هو أنّ الكندي عمل في الجواهر، تلك الحرفة التي تعلمها على يدي جدّه، ونتصور أنه فتح محلا هناك للمجوهرات، وربما ساعده وضعه العائلي على ذلك الأمر الذي وفّر للكندي وضعا ماديا جيدا مكّنه من الدراسة والبحث.

ولا نجد بين أيدينا قرائن تبين سبب استقراره في بغداد، ولا نظن أنّ والده وجدّه هما أصحاب هذا الرأي والصورة المرجحة هي أنّ العائلة قبلت ذلك استناداً إلى تفوق الكندي دراسيا فإذا افترضنا أنّ هذا الأمر حصل سنة 190هـ فلنا أن نتخيل كيف استقر الكندي هناك للدراسة والبحث. وكان يأتيه مصروف من عائلته يكفيه الإقامة في بغداد، وعندما استقر هذا المشروع نفّذه بمساعدة عائلته، ومن ثم توافر له مصدر اقتصادي كفاه مؤونة الاقتراب من الدولة.

6- النشاط السياسي للكندي:

عاش الكندي طيلة النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وعاصر المأمون (198هـ - 218هـ)، والمعتصم (218هـ - 227هـ). والواثق (227هـ - 233هـ). والمتوكل (233هـ - 247هـ).

ولم يعمل في البلاط السياسي لأيّ واحد منهم، فلم يعيّن في وظيفة للدولة ومن ثم بقي فيما يبدو مستقلا، وساعده استقلاله الاقتصادي أن يعيش باحثا يتردد إلى بيت الحكمة، جامعاً في بيته مكتبة ضخمة.

وهذا لا يعني أنه لم يكن يعرف الخلفاء السابقين، فالأغلب الأعم أنّه عرفهم عن قرب، بل ألف رسائل باسمهم وتحت طلب منهم فيما يبدو. فقد كتب للمأمون «رسالة في العلة والمعلول» [45]، وكتب إلى المعتصم رسالة «في الفلسفة الأولى»[46].

ومن المرجّح أنّ الكندي كان يتردّد على المجالس العلمية التي كان يعقدها الخلفاء أو الوزراء أو كبار رجال العلم في بغداد، ومن ثم عرف الوسط الثقافي البغدادي بصورة معقولة وقد وصلنا شاهدان يؤكدان ما ذهبنا إليه.

الشاهد الأول: «وقال يعقوب بن اسحق الكندي: كنا عند ابن أبي دؤاد، فذكرالهشامي، صاحب الجزيرة بالأندلس، فقال: كان متواريا عندي أربعة أشهر. قال أبو خالد المهلبي: فحدثت المتوكل بهذا فقال: قد كان الناس يقولون أنّه يميل إلى الأموية...»[47].

الشاهد الثاني: يروي ابن نباته أنّ الكندي كان حاضرا في مجلس أحمد بن المعتصم عندما أنشد أبوتمام قصيدته السينية[48].

مـا في وقـوفك سـاعـة من باس

نـقـضـي ذمـام الأربـع الأدراس

7 - تدريس أحمد بن المعتصم:

يذكر صاحب المنتخب أنّ الكندي كان أستاذا لأحمد بن المعتصم «وباسمه عمل أكثر كتبه، وإليه كتب جلّ رسائله وأجوبة مسائله...»[49] .

ولا نعرف على وجه الدقة متى ولد أحمد بن المعتصم[50] وطلب المعتصم من الكندي أن يشرف على تربيته، ومعروف أنّ المعتصم توفي سنة 227 [51] وهذا يعني أنّ تدريس

الكندي لأحمد بن المعتصم بدأ قبل سنة 227هـ. أي في صغره عندما كان عمره بين 10-15 سنة، وألف الكندي عددا كبيرا من الرسائل[52] باسم أحمد بن المعتصم تلميذه والذي ارتبط به إلى آخر حياته، وكان من المفترض بعد موت المنتصر بن المتوكل أنْ يتولى أحمد الخلافة لكن أولاد موسى بن شاكر دبروا حيلة لأبعاده عن الخلافة ونجحوا في ذلك، وآل الأمر إلى المستعين[53]، وقد ذكر الطبري ذلك بصورة صريحة إذ يقول: «أنه بعد موت الخليفة العباسي المنتصر بالله (ابن المتوكل) عام 248هـ، عمل محمد بن موسى المنجم على إبعاد الأمير أحمد بن المعتصم عن الخلافة لأنّ «أحمد بن المعتصم صاحب الكندي الفيلسوف، والكندي عدو لمحمد وأحمد ابني المنجم»[54].

8- نشاط الكندي الثقافي:

لم تكن الظروف البغدادية مسالمة للكندي، فقد كان له خصوم كثيرون في الوسط البغدادي، واضطر أن يخوض نضالا سياسيا وفلسفيا وثقافيا، وقد وصلتنا بعض الشذرات التي تشير من بعيد إلى هذا الصراع.

8-1- الكندي والمعتزلة[55]:

يذهب فالزر إلى أنّ الكندي «قبل المذهب الاعتزالي بدون تحفظ، ولكنه أعطاه أسسا فلسفية»[56]، وذكر أبو ريدة أنّ الكندي ألّف في الموضوعات الإعتزالية بعض المؤلفات مثل كتابه «في التوحيد» واتخذ مواقف مشابهة لمواقفهم «مثل كلامه وكلامهم عن استحالة ما لا يتناهى وكيف يكون الجسم حال أول خلق الله له، وفناء الجنة والنار والحركات أو بقاؤها، والتولد، ويلاحظ أنّ معالجات ونتائج الكندي هي مواقف المعتزلة من هذه الأمور، بالإضافة الى نزعة الكندي العقلية في تفسير القرآن»[57]، وما يهمنا هو أنّه في ضوء هذا أصبح لقاؤه مع رجال الاعتزال في بغداد ممكنا فهناك ما يثبت أنّه كان يتردد على مجلس أبي

دؤاد (ت: 240هـ). ونرجح أنّه عرف العلاّف (ت: 235هـ) والنظّام (ت: 213هـ) والفوطي (ت: 218هـ) والجاحظ (ت: 255هـ) والأصم (ت: 201/200هـ) والمردار (ت: 226هـ) وغيرهم[58].

8-2 – صراع الكندي مع العلماء:

كانت المواجهة مع العلماء، وبخاصة الفقهاء من أهل السنة أمرا حتميا فهم ناصبوا المعتزلة العداء ابتداء وهم انطلقوا في خطابهم من الدين ذاته، فكيف إذا كان الكندي قد تجاوز الاعتزال ونادى بضرورة الأخذ بتراث السابقين وتفلسف على طريقتهم، وقد وصلتنا صورة لهذا الصراع في رسالته إلى المعتصم «في الفلسفة الأولى».

وكان الكندي يريد في هذا الرسالة إثبات أنّ الفلسفة لا تخالف الدين فعلم الربوبية من الفلسفة، ويتهم رجال الدين بسوء التأويل إذ يقول: «توقيا سوء تأويل كثير من المتسمين بالنظر في دهرنا من أهل الغربة عن الحقّ، وأن تتوجوا بتيجان الحقّ من غير استحقاق: لضيق فطنهم عن أساليب الحقّ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذو الجلالة في الرأي والاجتهاد في الأنفاع العامة الكل الشاملة لهم. ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية والحاجب بسدف سجوفه أبصار فكرهم عن نور الحقّ ووضعهم ذوي الفضائل التي قصّروا عن نيلها وكانوا منها في الأطراف الشاسعة... ذباً عن كراسيهم المزورة التي نصبوها عن استحقاق بل للترؤس والتجارة بالدين وهم عدماء الدين، لأن من تَجَرَ بشيء باعه، ومن باع شيئا لم يكن له، فمن تَجَرَ بالدين لم يكن له دين، ويحقُّ أن يتعرى من الدين من عاندَ قنيةَ علم الأشياء بحقائقها وسماها كفراً»[59].

8-3 – حوار الكندي مع ثعلب:

يعدُّ أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، وهناك رواية تذكر أنّ الكندي

ذهب إلى ثعلب، وقد أوردَ ابن الانباري تلميذ ثعلب تفاصيل اللقاء، إذ يقول: «روي عن ابن الأنباري أنه قال ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبدالله قائم، ثم يقولون: إنّ عبدالله قائم، ثم يقولون: إنّ عبدالله لقائم والألفاظ متكررة والمعنى واحد.

فقال له أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبدالله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إنّ عبدالله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنّ عبدالله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، قال: فما أحار المتفلسف جوابا»[60]. ويعقب ابن الانباري على ذلك قائلا: «وإذا كان الكندي يذهب هذا المذهب عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم أو معترض، فما ظنك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بباله؟ واعلم أنّ ههنا دقائق لو أنّ الكندي استقرأ وتصفح وتتبع مواقع إنّ ثم ألطف النظر وأكثر التدبر لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل[61].

هناك احتمال أن تكون الرواية ملفقة، وقد ذهب أنطوان سيف إلى أنّ هذه الرواية «تندرج في سياق محاولات إبعاد أهل المنطق والفلاسفة عن مجال النحو، كما كانت ترى ركائز هذا النحو مدرسة الكوفيين»[62].

وقد بين بشواهد ممتازة أنّ هذا الحكم بجهل الكندي يتعارض مع هذه الشواهد[63]، وهناك احتمال في أن يكون الحوار قد جرى بينهما، وكان الكندي هنا فاحصا لثعلب مدعيا الجهل باللغة السقراطية، فإذا ثبتت هذه الواقعة، فهي تبين لنا أنّ الكندي كان يخوض حوارا مع مثقفي عصره، ومنهم ثعلب.

4-8- أزمة الكندي مع أولاد موسى بن شاكر:

وقف أولاد موسى بن شاكر[64] ضدّ الكندي، وأحمد بن المعتصم، وكانت المواجهة

تتعلق بالمصالح كما بدت في هذه الأزمة، وعموما لم تكن أزمة أولا موسى بن شاكر مع الكندي في سنة 248هـ هي المواجهة الأولى، فالخلاف يعود إلى سنوات سابقة، وكانت الأزمة قد وقعت في عهد المتوكل (233هـ - 247هـ)، فقد أورد صاحب كتاب «حسن العقبي» رواية نقلها ابن أبي أصيبعة تؤكد هذا الأمر، إذ قال «كان محمد وأحمد أبناء موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة، فأشخصا سند بن علي إلى مدينة السلام وباعداه عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل، ووجها إلى داره، فأخذا كتبه بأسرها وأفرادها في خزانة سميت الكندية، ومكن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة، وتقدم إليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر. وكانت معرفته أوفى توفيقه، لأنه ما تم له عمل قط، فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها أخفض من سائره فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر. فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل فسعى بهما إليه فيه، فأنفذ مستحثا في إحضار سند بن علي من مدينة السلام، فوافى. فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى أن سند بن علي قد شخص، أيقنا بالهلكة ويئسا من الحياة. فدعا المتوكل بسند وقال: «ما ترك هذان الرديان شيئا من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به، وقد أتلفا جملة من مالي في هذا النهر. فأخرج إليه حتى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه. فإني قد آليت على نفسي، أن كان الأمر على ما وصف لي، أني أصلبهما على شاطئه». وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعهما، فخرج وهما معه. فقال محمد بن موسى لسند: «يا أبا الطيب أنّ قدرةَ الحرِّ تذهبُ حفيظته، وقد فرغنا إليك في أنفسنا التي هي أنفس أعلاقنا، وما ننكر أن أسانا والاعتراف يهدم الاقتراف، فتخلصنا كيف شئت». قال لهما: والله أنكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة، ولكنَّ الحقّ أولى ما أتبع. أكان من الجميل ما أتيتماه إليه من أخذ كتبه؟ والله لا ذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه». فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب إليه، وأخذ

خطه باستيفائها، فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها...»[65].

استنادا إلى النص السابق يمكننا الخلوص إلى مجموعة قضايا:

1 - كان الكندي يرتبط بالمتوكل بعلاقة جيدة، فقد كان من رجاله ومستشاريه، فيما يبدو، ولكن دبر أولاد موسى بن شاكر مؤامرة ضده، ونجحوا في جعل المتوكل يقوم بضربه وإبعاده.

2 - أمر المتوكل بمصادرة مكتبة الكندي، وقام بتنفيذ هذا الأمر أولاد موسى بن شاكر.

3 - وقعت هذه الأحداث في أواخر حياة المتوكل أي في سنة 247هـ.

4 - كان سند أيضا قد اختلف مع المتوكل جرّاء مكيدة من أولاد موسى بن شاكر.

5 - أمر المتوكل أن يحفر النهر الجعفري وعهد إلى أولاد موسى بن شاكر بتنفيذه، فولوا أحمد بن كثير الفرغاني هذا العمل، لكنه فشل في إنجاز المهمة.

6 - بلغ الخبر المتوكل فغضب غضبا شديدا وأحضر سند إلى بغداد ليقوم بمعالجة المسألة، فعقد سند اتفاقية مع أولاد موسى بن شاكر من ضمنها إرجاع كتب الكندي إليه، وأن يوقع الكندي باستلامها، ففعلوا، ومن ثم تمكّن سند من إنقاذ الموقف بهذه الطريقة.

مراجعة:

كان أولاد موسى بن شاكر يناصبون الكندي العداء حسدا وغيره من علمه، وخوفا من تقدمه عليهم في بلاط الخليفة، وقد حارب أولاد موسى بن شاكر الكندي سياسيا وثقافيا، وقد وصلنا شاهدان على ذلك:

1 - الأزمة الأولى في عهد المتوكل سنة 247هـ.

2 - الأزمة الثانية في عهد المستعين سنة 248هـ

يبدو أن الخلاف بين أولاد موسى بن شاكر والكندي يعود إلى سنوات قبل ذلك، فلو افترضنا مثلا أنّ هذا الخلاف نشب في حدود سنة 230هـ. فمن المتوقع أن يستخدم كل

طرف في هذه المعركة ما لديه من أدوات وإمكانيات وبخاصة أولاد موسى بن شاكر، فلم يتورعوا عن إلحاق الأذى الجسدي بالكندي كما رأينا.

ومعروف أنهم كانوا يدفعون رواتب سخية لجماعة من المترجمين مثل حنين بن اسحاق وثابت بن قرة فقد ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة إذ يقول: «وقال أبو سليمان المنطقي السجستاني: إنّ بني شاكر وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم، حنين بن اسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة، وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة».[66]

في ضوء ما فعله أولاد موسى بن شاكر من المتوقع أنهّم حشدوا لهذه المعركة مناصريهم مثل اسحق بن حنين، وثابت بن قرة وغيرهم. وكانت المهمة الأساسية هي إثبات جهل الكندي أمام السياسيين في الدولة والفلاسفة والمفكرين فيها.

وقد وصلنا شاهدٌ نلمحُ فيه من بعيد صدى هذه المعركة، فقد جاء في قائمة مؤلفات ثابت بن قرة «كتاب في الوقفات التي في السّكون بين حركتي الشريان المتضادتين، مقالتان، صُنّف هذا الكتاب سريانيا، لأنه أومأ فيه إلى الرد على الكندي، ونقله إلى العربي تلميذ له يعرف بعيسى بن أسيد النصراني، وأصلح ثابت العربي، وذكر قوم أنّ الناقل لهذا الكتاب حبيش بن الحسن الأعسم، وذلك غلط. وقد ردّ أبو أحمد الحسين بن أبي اسحاق بن ابراهيم بن يزيد الكاتب المعروف بابن كرنيب على ثابت في هذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيه ولا طائل، وهذا الكتاب أنفذه لما صنفه إلى اسحق بن حنين فاستحسنه استحسانا عظيما وكتب في آخره بخطه يقرظ أبا الحسن ثابتا ويدعو له ويصفه»[67].

ألفّ ثابت بن قرة كتابه السابق للردّ على الكندي، وقد وضعه بالسريانية وقد أنفذه ثابت إلى اسحق بن حنين فاستحسنه وأثنى عليه، ومعروف أيضا أنّ اسحق بن حنين ارتبط بلاقة قوية مع أولاد موسى بن شاكر، فهل نقول انّ هناك تحالفا ضد الكندي قام به أولاد موسى بن شاكر مع اسحق بن حنين وثابت بن قرة ورجالهم؟

ردّ ابن كرنيب لاحقا على كتاب ثابت بن قرة بعنوان: «كتاب الرد على أبي الحسن ثابت بن قرة في نفيه وجوب وجود السكونين بين كل حركتين متساويتين»[68]، ونجد في نصّ ابن أبي أصيبعة عبارة تلي ذلك تقول: «وقد ردّ أبو أحمد الحسين بن اسحق بن ابراهيم المعروف بابن كرنيب على ثابت بما لا فائدة فيه ولا طائل»[69]، فهل هذا الحكم من ابن ابي أصيبعة أم ينتمي إلى تلك المرحة؟

كنا نظّن أنّ كتاب ثابت بن قرة في الردّ على الكندي لم يتنبه له أحد قبلنا، ثم تبينا أنّ الأهواني قد استخدمه، ولكن ضمن رؤية مختلفة، فهو يعتقد أنّ هناك تنافسا[70] بين الكندي والأطباء النصارى، وهذه المنافسة تنطبق على كتاب ثابت بن قرة وتدلّ على عظيم منزلة الكندي في الطب[71] ونحن لا نعترض على هذه النتيجة، ولا ما قبلها أي أمر المنافسة ولكن نذهب إلى أبعد من ذلك، فنضعها في أفق أعمق هو صراع الكندي مع أولاد موسى بن شاكر وحنين بن اسحاق وثابت بن قرة.

لم يقف الأمر عند حدود المنافسة، فقد ضُرب الكندي من قبل المتوكل، وردّ عليه من قبل ثابت وصفق له حنين بن اسحق... إنه توجه عمومي في محاربة الكندي الذي ادعى الطب والعلم والفلسفة.

5-8- أزمة مع سند بن علي:

أنشأ المأمون مرصد بغداد سنة 212هـ تقريبا[72]، وباشر الفريق الفلكي الأرصاد سنة 213هـ . وأناط المأمون مهمة الإشراف على الأرصاد إلى سند بن علي[73]، فقد كان أكثرهم علما، ولم يعترض عليه أحد. كان سند من أبرز رجال العلم في بغداد، وبخاصة في الفلك والرياضيات منذ سنة 213هـ. وقد تعرّف إلى أولاد موسى بن شاكر وهم صغار يدخلون بيت الحكمة، إذ بعد وفاة أبيهم جعلهم المأمون برعاية اسحق المصعبي ويحيى بن أبي منصور[74]، وكانوا يترددون على بيت الحكمة.

ويبدو أنهّم تعرّفوا إلى الكندي منذ تلك الفترة، إذ كان سند بالضرورة من المترددين على بيت الحكمة، وكان أولاد موسى بن شاكر، وكان الكندي يتردد هناك كذلك.

تعود علاقة سند بن علي بالكندي وأولاد موسى بن شاكر إلى هذه الفترة، وعندما وقعت أزمة الكندي مع أولاد موسى بن شاكر سنة 247هـ، تدخل سند بن علي ضد أولاد موسى بن شاكر وطالب بإرجاع مكتبة الكندي ولا يعني هذا أنّه كان يرتبط بالكندي بعلاقة حميمة وإنما يقول هو: «والله إنكما لتعلمان ما بين وبين الكندي من العداوة والمباعدة...»[75]، كان هناك خلاف وعداوة بين الكندي وسند بن علي، وما يهمنا هو أنّ هذا الخلاف معروف في الأوساط البغدادية، ويعلمه أولاد موسى بن شاكر، فهل هو خلاف يعود إلى سنوات طويلة، وما أسبابه؟ لا يوجد بين أيدينا قرائن تجيب على مثل هذه الأسئلة.

6-8- الكندي ويحيى بن ماسويه:

ألف الكندي رسالة بعنوان «في النفس وأفعالها» وهي مكتوبة ليوحنا بن ماسويه[76] ومعروف أنّ يوحنا بن ماسويه توفي سنة 243هـ[77]، فهذه الرسالة إذن ألفت قبل هذا التاريخ. تولّى يوحنا بن ماسويه رئاسة بيت الحكمة زمن المأمون سنة 213هـ وكان كبير الأطباء آنذاك، ومترجما مرموقا. ومن ثم هناك إمكانية لأن يكون الكندي قد عرفه منذ سنة 200-243هـ.

لم يصلنا خبر يشير إلى أنّ هناك خلافا قام بين الكندي ويوحنا بن ماسويه، وهناك احتمالان لكتابة هذه الرسالة: أولهما أن يكون الكندي كتبها وأهداها له باسمه دون طلب منه. وثانيهما: أن يكون يوحنا طلب تدوين هذه الرسالة بعد حوار وقع بينهما فطلب منه أن يكتب ذلك، والمهم بالنسبة لنا أنّ علاقة الكندي بيوحنا بن ماسوية كانت إيجابية، وتشير من بعيد إلى أنّ الحوار بينهما كان قائما.

8-7- صراع الكندي مع أبي معشر الفلكي:

هو «أبو معشر جعفر بن محمد البلخي، وكان أولاد من أصحاب الحديث، ومنزله في الجانب الغربي بباب خراسان»[78]. ويضيف ابن النديم قائلا: «وكان يضاغن الكندي، ويغري به العامة، ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة»[79]، تأذى الكندي كثيرا من ممارسات أبي معشر، وفكر فعليا في كيفية ردعه فدسَّ عليه من حسّن له النظر في علوم الحساب والهندسة، فدخل في ذلك فلم يكمل له، فعدل إلى علم أحكام النجوم، وانقطع شره عن الكندي بنظره في هذا العلم لأنه من جنس علوم الكندي»[80].

ويضيف ابن النديم أنه يقال: «أنه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره»[81]. وتوفي أبومعشر وقد جاوز المائة[82] سنة 272 [83]. فإذا افترضنا أنّه وصل المائة سنة عندما توفي فهذا يعني أنه ولد سنة 172هـ وعندما بدأ تعلم النجوم كان في سنة 219هـ وهذا يؤكد أنّ معركته ضد الكندي كانت قبل هذا التاريخ بقليل.

8-8- الكندي ومحمد بن الجهم:

نشر أبو ريدة رسالة الكندي: «في وحدانية الله وتناهي جرم العالم»[84]، وهي مقدمة إلى شخص يدعى «علي بن الجهم». وقد عرف أبو ريدة في الهامش بهذه الشخصية فهو: «الشاعر المشهور علي بن الجهم.. الخراساني الأصل، كان مختصا بالمتوكل ثم نفاه المتوكل عام 232هـ أو 239هـ، وتوفي عام 249هـ، كان شاعرا مطبوعا عذب الألفاظ وصديقا لأبي تمام. راجع ابن خكان ج2، ص39 وما يليها، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج11، ص367 وما بعدها[85].

لا نجد ذكرا لهذه الشخصية في قائمة مؤلفات الكندي عند ابن النديم، فقد ذكر الرسالة دون الاسم[86]، وقد تنبه مكارثي إلي أنّ الاسم أورده ابن أبي اصيبعة «محمد بن الجهم»[87]، والرسالة تبين لنا أنّ الكندي كان حاضرا في مجلس ابن الجهم، وعندما

استمع لوجه نظر الكندي في موضوع وحدانية الله وتناهي جرم العالم، طلب أن يدون رأيه كتابه، فقام بكتابة هذه الرسالة[88]، وهي مدونة بلغة فلسفية رصينة، ويقول الكندي أنه كان يتمتع بثقافة عالية ولهذا كتبها بصورة موجزة وبدون إطناب.

عندما قرأت الرسالة، وقعت في الحيرة وعجبت لهذا الشاعر الذي كان يملك هذه العقلية في بغداد آنذاك، وعندما فحصت ابن النديم لم أجد شخصا اسمه علي بن الجهم، ولكن هناك شخصان يحملان هذا الاسم هما:

1 - محمد بن الجهم أبوبكر، ذكره ابن النديم ص253,90 والإشارة تأتي عرضا وتتعلق بنفوطية اللغوي فهو قد سمع من محمد بن الجهم أبي بكر، والإشارة الثانية هي ترجمة كاملة له باعتباره من الفقهاء.[89]

2 - محمد بن الجهم البرمكي، ذكره ابن النديم مرتين، ص336,305 والإشارة تورد اسمه ضمن أسماء النقلة من الفارسي إلى العربي،[90] والإشارة الثانية يذكر ابن النديم فيها أن أبا معشر الفلكي كان يحكي عن عبدالله بن يحيى ومحمد بن الجهم البرمكيين ويفضلهما بالعلم»[91].

لا نعتقد أنّ ابن الجهم الذي وجه الكندي إليه الرسالة هو الشاعر أو الفقيه والأرجح أنه المترجم البرمكي محمد بن الجهم. ثم وجدنا ريشر قد ترجم له باعتباره من المناطقة العرب فقال «كان محمد بن الجهم البرمكي من أصغر المعاصرين لمحمد بن المقفع وهو باحث متعدد الجوانب ومترجم من الفارسية إلى العربية، ركز اهتمامه منذ البداية في الفلك والتنجيم وأيضا في الرياضيات والتاريخ والأمور الدينية»[92].

9-8- حوار الكندي والخراساني:

وصلتنا رسالتنا للكندي موجهة إلى شخص اسمه «أحمد بن محمد الخراساني» وهما:

1 - رسالته في تناهي جرم العالم[93].

2 - رسالة «إلى أحمد بن محمد الخراساني فيما بعد الطبيعة وإيضاح تناهي جرم العالم»[94]. وقد تساءل مكارثي فيما إذا كنا أمام رسالة واحدة[95]، وأميل أنا إلى هذا، وقد نشر أبو ريدة هذه الرسالة في نشرته[96] لرسائل الكندي، وأعلن في الهامش بأنه لم يتمكن من تحديد هوية الخراساني، وذكر مكارثي أنه ربما كان أحمد بن محمد الحاسب المذكور في الفهرست ص282 [97].

لم نعثر في فهارس المرحلة على شخص يدعى الخراساني، ولكن هناك خمسة أشخاص في فهارس ابن النديم وكلهم، أحمد بن محمد ولكنهم يختلفون في اسم العائلة وهم:

1 - أحمد بن محمد الأشموني ص 418 .

2 - أحمد بن محمد بن المدبر ص 189 .

3 - أحمد بن محمد بن زبدة ص 192 .

4 - أحمد بن محمد بن المنجم ص 160 .

5 - أحمد بن محمد بن الحاسب ص 340 .

وقمنا بتقصي هؤلاء الخمسة، ولم نجد شخصا يمكن أن يقوم بهذه المهمة سوى «أحمد بن محمد الحاسب» كما ذكر مكارثي لأنّ هذا الرجل كانت له علاقة بالفلسفة والعلم وقد أفرد ابن النديم له ترجمة فقاله: «لا نعرف من أمره أكثر من هذا، وله من الكتب، كتاب إلى محمد بن موسى في النيل، كتاب المدخل إلى علم النجوم، كتاب الجمع والتفريق»[98]، وإذا حاولنا قراءة ملامح شخصية الخراساني حسبما تقدمه الرسالة، أدركنا أنّه كان على معرفة فلسفية وعلمية كبيرة لأنّ هذه الرسالة «في إيضاح تناهي جرم العالم» ويدعم الكندي هذا الحكم ببراهيم رياضية، وهي موجهة إلى شخص يمكن أن يستوعب ذلك.

ومن هنا كان ميلنا إلى أنّ الخراساني هذا هو الحاسب فعلا، وفي ضوء ذلك كانت هناك علاقة قوية بين الكندي والخراساني، وربما كان بينهما حوار حول هذه المسألة، ومن

ثم طلب الخراساني، توضيحا فجاءت هذه الرسالة، ولا يلبي الكندي الطلب إلا إذا كان شخصا يستحق ذلك.

الخاتمـــة:

ولد يعقوب بن اسحاق الكندي في الكوفة في حدود سنة 170هـ، فقد كان حاضرا في مجلس هارون الرشيد قبل أزمة البرامكة بأيام، وقد روى ما حدث هناك، ومعروف أنّ أزمة البرامة وقعت سنة 187هـ. وكان والده واليا على الكوفة في عهد الرشيد، أمّا جدّه فقد كان من كبار الجوهريين في الدولة العباسية، ونفذ للرشيد بعض المهمات، ويبدو أنّ جدّه علمه هذه المهنة، ومن ثم عمل بها في بغداد في الفترة 200-256هـ، الأمر الذي وفر له الاستقلال عن العمل بالدولة، فلم يعرف أنّه ارتبط بعمل رسمي لأحد الخلفاء.

عاصر الكندي المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وعرفهم عن قرب، وكان يحضر مجالسهم، وألف رسائل باسمهم، وأشرف على تربية أحمد بن المعتصم، وكانت علاقة الكندي بالمتوكل قوية إلى أن تآمر أولاد موسى بن شاكر عليه، فضربه وصادر مكتبته.

ارتبط الكندي بعلاقات ثقافية بأبرز مفكري النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وكانت بعض هذه العلاقات ايجابية ودية علمية، مثل علاقته بيوحنا بن ماسويه، ومحمد بن الجهم، وأحمد الخراساني، ورجال المعتزلة، ومن جهة ثانية كانت علاقته سلبية مع بعض الفئات، فقد كان العلماء يهاجمون الفلسفة، ومن ثم تلقى ضرباتهم، ودافع عن موقفه هذا في رسالته إلى المعتصم «في الفلسفة الأولى»، وبعض الفئات ناصبته العداء بصورة مباشرة مثل أولاد موسى بن شاكر الذين كادوا له كثيرا، وربما وظفوا في صراعهم معه، كافة رجالاتهم مثل حنين بن اسحاق وثابت بن قرة. والسبب الرئيس هو تفوق الكندي فلسفيا وعلميا فقد تعددت اهتماماته العلمية والفلسفية، وطرح نفسه بصورة مباشرة كفيلسوف، الأمر الذي رفضه معاصروه حسدا وغيرة.

مرض الكندي في أواخر أيامه، وبقي هذا المرض يمتد إلى أن توفي في 256-260هـ، ودرس عليه كثيرون أبرزهم أحمد بن الطيب السرخسي وأبو زيد البلخي.

الهوامش:

(1) يتناول هذا الحكم المؤلفين المستشرقين والعرب، انظر، مثلا: حسام الألوسي، فلسفة الكندي، بيروت (دار الطليعة)، ط1، 1985. حيث يستعرض الألوسي من درس الكندي، وملخصا لأعمالهم، ص284-429.

(2) أنطوان سيف، الكندي. بيروت (دار الجيل)، ط1، 1985. ص16.

(3) ابن النديم. الفهرست. تحقيق رضا ـ تجدد. طهران (ب،ت) ص315 .

(4) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية) 1955، ص73.

(5) صاعد الأندلسي. طبقات الأمم. القاهرة (مطبعة دار السعادة) ب،ت ـ ص 81

(6) منتخب صيوان الحكمة، تحقيق دنلوب، نيويورك (دار موتن للنشر)، 1979، ص113.

(7) ناقشت د. وداد القاضي في دراسة ممتازة لها، من هو مؤلف منتخب صيوان الحكمة، أنظر:

Widad Al-Qadi: Kitab Siwan Al-Hikma: Structure, Composition, authorship and Sources, Der Islam 1981, 58, 1, P86-124.

(8) القفطي. كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء. القاهرة (مطبعة السعادة) 1326هـ، ص 240 .

(9) ابن نباتة. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. القاهرة (دار الفكر العربي). ص231.

(10) مصطفى عبدالرازق. فيلسوف العرب والمعلم الثاني. القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) 1945، ص12-13 .

(11) م.ن. ص 11

(12) البيروني. الجماهر في معرفة الجواهر. بيروت (عالم الكتب)، (ب،ت) ص 32

(13) م.ن. ص 63

(14) انظر مثلا: حسام الألوسي، فلسفة الكندي، ص 306-428

(15) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص73 .

(16) انظر مثلا: مصطفى عبدالرازق، م.س. ص 18 .

(17) مصطفى عبدالرازق م.ن ، ص 18 .

(18) البيروني. الجماهر في معرفة الجواهر. ص 159-160 .

(19) انظر مثلا: ابن الطقطقا. الفخري. بيروت (دار صادر) (ب،ب) ص 209 السيوطي. تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت. (دار الكتب العلمية). ب،ت ص283-297 .

(20) ذكر ما سينون ذلك في نصوصه الصوفية، انظر: مصطفى عبدالرزاق. م.ن ص 50

(21) انظر: الطبري. تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة، دار المعارف. ط3، ج9 .

(22) ابن النديم، الفهرست، ص 409 .

(23) نلينو. علم الفلك، القاهرة (مكتبة الثقافة الدينية)، ص 117، وقد أشار مصطفى عبدالرازق إلى هذا ص50 .

(24) مكارثي، التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب. بغداد (مطبعة العاني) 1962، رقم 286، ص48 .

(25) انظر مكارثي، م.ن. ص 72، رقم 45 .

(26) دي بور. تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبدالهادي أبوريدة. بيروت. (دار النهضة العربية) ط5، 1981، ص179 .

(27) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ترجمة السيد يعقوب بكر ورمضان عبدالتواب. القاهرة (دار المعارف) ط3، 1983، ج4، ص127

(28) دي بور، م.ن. ص 179

(29) مصطفى عبدالرازق، م.ن. ص 51

(30) انظر: ياقوت الحموي. معجم الأدباء، بيروت. (دار إحياء التراث العربي) مجلد 8، ج 16، ص17

(31) مصطفى عبدالرازق، م.ن. ص 51

(32) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت (دار إحياء التراث العربي). (ب.ت) ج 3، ص 186، ج 5، ص 316

(33) الجاحظ، الحيوان . ج 18,3

(34) الجاحظ، الحيوان، ج 5، 316-317

(35) الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، القاهرة (دار المعارف) ط5، 1976 ص 81-93

(36) طه الحاجري، م.ن. ص 253

(37) م.ن. ص253

(38) انظر قائمة مؤلفات الجاحظ، رقم 144، في رسائل: رسائل الجاحظ. الرسائل الكلامية. تحقيق علي أبو ملحم، كشاف آثار الجاحظ. ص 37-109

(39) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مجلد 2، ج3، ص68، وانظر كذلك محمد احمد عواد. أبوزيد البلخي وعالمه الفكري. اطروحة دكتوارة. بيروت/ الجامعة اليسوعية، ص 4-47

(40) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مجلد 2، ج3، ص72

(41) م.ن. ص 72

(42) مصطفى عبدالرازق، م.ن. ص 11

(43) نلاحظ من نصوص الكندي في رسالة الجواهر والأشباه أنه كان يتقن هذا الفن، ويجري تجارب، مما يدل على خبرة تجريبية كبيرة في هذا الميدان. ونظرا لأن الرسالة مفقودة، فقد قمنا بإعداد الشذرات الواردة من هذه الرسالة في كتاب البيروني. الجماهر والجواهر، وأعددناها للطبع.

(44) ينطبق هذا على جملة المصادر القديمة مثل ابن النديم. وابن جلجل. وصاعد الأندلس، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، وحتى في المصادر الحديثة نجد هذا الأمر. انظر مثلا: حسام الألوسي، فلسفة الكندي، ص 306-428 .

(45) مكارثي. التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب. رقم 260 . ص 44

(46) انظر: الكندي، رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق محمد عبدالهادي أبوريدة. القاهرة (دار الفكر العربي) 1950، ج1، ص 97

(47) وكيع. أخبار القضاة، 298:3 نقلا عن فهمي جدعان، المحنة. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2000، ص 108

(48) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام. القاهرة (دار المعارف) ب.ت مجلد2 ، ص-252 242

(49) منتخب صيوان الحكمة، ص 113

(50) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج9، وانظر أيضا: حسام الألوسي. فلسفة الكندي، ص306

(51) ابن الطقطقا، الفخري، ص232

(52) انظر مثلا: مكارثي. التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب، الأرقام: 340,311,302,263,212,33

(53) ابن الطقطقا، الفخري. ص339-241

(54) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 417 .

(55) نوقشت علاقة الكندي بالمعتزلة بصورة جيدة من قبل أبي ريدة، وفالزر وآخرين، انظر رسائل الكندي الفلسفية، مقدمة المحقق، ص27-31، وانظر ايضا:

Richard Walzer. Greek Into Arabic. Oxford, Bruni Cassirer. 1962, New Sudies. On Al-Kindi, P 175-206

(65) نقلا عن الألوسي: فلسفة الكندي، ص 333

(57) م.ن. ص 320

(58) انظر بشأن هؤلاء: فهمي جدعان، المحنة، ص 86-113. بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ص2 2000م

(59) الكندي. في الفلسفة الأولى. تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، بيروت (مؤسسة دار الكتاب الحديث) ص2، 1986، ص89-90 .

(60) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، وقف على تصحيحه محمد رشيد رضا، مكة المكرمة، (المكتبة التجارية)، ط2،

(ب،ت) ص224-227، وانظر: مصطفى عبدالرازق، م.ن. ص 26

(61) لا يوجد نص ابن الانباري في النسخة التي ذكرناها. وهو يوجد (بهامش) النسخة التي رجع اليها مصطفى عبدالرازق، انظر م.ن. ص 26-27

(62) انطوان سيف. م.ن. ص32

(63) م.ن. ص 33-34

(64) انظر ترجمة لحياتهم في: بني موسى بن شاكر. كتاب الحيل، تحقيق: أحمد يوسف الحسن حلب (معهد اتراث العلمي العربي) 1981، المقدمة. ص18-49

(65) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، بيروت، (منشورات مكتبة الحياة) ط1، 1965، ص286-28

(63) م.ن. ص 33-43

(64) انظر ترجمة لحياتهم في: بني موسى بن شاكر . كتاب الحيل. تحقيق. أحمد يوسف الحسن . حلب (معهد التراث العلمي العربي). 1981. المقدمة . ص18-49

(65) ابن ابي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق د. نزار رضا. بيروت. (منشورات مكتبة الحياة). ط 1، 1965، ص 286-28

(66) م.ن. ص 260

(67) م.ن. ص 298

(68) م.ن. ص 298

(69) م.ن. ص 298

(70) أحمد فؤاد الأهواني، مقدمة تحقيق الفلسفة الأولى للكندي، ص32-33

(71) أحمد فؤاد الأهواني. م.س. ص48

(72) انظر: آيدين صابيلي. المراصد الفلكية في العام الإسلامي. ترجمة عبدالله العم. وعبدالحميد صبرة. الكويت (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي). ط1، 1995، ص113-134

(73) م.ن. ص 116

(74) بني موسى بن شاكر. الحيل. المقدمة ص21

(75) ابن ابي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص287

(76) مكارثي. التصانيف المنسوة إلى فيلسوف العرب. رقم 301، ص 50

(77) ابن ابي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص255

(78) ابن النديم. الفهرست. ص 335

القفطي. أخبار العلماء بأخبار الحكماء. ص 106

(79) ابن النديم، الفهرست ، ص 335

(80) م.ن. ص 335

(81) م.ن. ص 335

(82) م.ن. ص 335

(83) م.ن. ص 335

(84) رسائل الكندي الفلسفية، ج1، ص 201

(85) م.ن. ص 201

(86) ابن النديم. الفهرست. ص 315-320

(87) ابن ابي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص292، وانظر مكارثي. م.س.ص 48

(88) انظر: رسائل الكندي الفلسفية. ج 1، ص 201 .

(89) ابن النديم. الفهرست. ص 235

(90) م.ن. ص 305

(91) م.ن. ص 336
(92) نيقولا ريشر. تطور المنطق العربي. ترجمة محمد مهران، القاهرة (دار المعارف)، ط1، 1985، ص 246
(93) مكارثي. التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب. رسالة رقم 11. ص 32
(94) م.ن. رسالة رقم 29، ص 49
(95) مكارثي. م.س. ص 23
(96) رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق أبوريدة. ج1، ص186-193
(97) مكارثي. م.س. ص 50
(98) ابن النديم، الفهرست. ص 340 .